معاضدة النساء للرجال في ساحات الوغى

ويتضمن المواضيع التالية :

- قصص لا تنسى.
- خروج امرأة من بني غفار مع رسول الله ﷺ.
- خروج امرأة وقصة عنزتها.
- خروج أم حرام بنت ملحان خالة أنس.
- خدمة النساء في الجهاد في سبيل الله.
- خدمة الرُبَيِّع بنت معوذ وأم عطية وليلى الغفارية في الجهاد.
- خدمة عائشة وأم سليم وأم سليط الأنصارية يوم أحد .
- خروج النساء للخدمة يوم خيبر.
- قتال النساء في الجهاد في سبيل الله - قتال أم عمارة يوم أحد.
- قتال صفية يوم أحد ويوم الخندق.
- قتل أسماء بنت يزيد تسعة يوم اليرموك.
- أجر النساء أعظم . . . يعدل ذلك كله.

obeikandl.com

معاضدة النساء للرجال في ساحات الوغى

قصص لا تنسى ...

إنها حقاً قصص مثيرة عن المرأة في زمن سيدنا محمد ﷺ، إنها تستحق الذكر، ومن هذه القصص تتبين تضحية النساء وجهادهن في سبيل الله، وتُذكِّر هذه القصص المرأة بأن لها دوراً كالرجل في هذا الأمر وأنها ليست منسية في الإسلام، وهذا يعني أن دورها ليس منحصراً في الالتزام بطبخ الطعام كما يصورها أعداء الإسلام، واعلمي أيتها المرأة أن دورك في أمور شتى ليس خافياً على أَحَدْ فدورك دور عظيم، وإنه يختلف عن أدوار النساء في البلاد الغربية التي يكثر فيها الصخب والعنف و(الجاز)، والناس في مثل هذه البلاد يسرعون في الأكل والكلام والحركة ولا يجدون وقتاً للهدوء والتفكير... إنها بلاد مهووسة بالضجة، وهي كل يوم تفكر في تقاليع تغزو بها العالم...

إن الصخب والضجيج يخفيان في هذه البلاد حزناً عميقاً يأكل قلب كل فرد... حيث وقف ذات يوم مهندس فنان في نيويورك وقال: «هذه مدينة مليئة بالزينة... لكنها مفجعة»، والإنسان هناك يحس بالضياع وسط الزحام والأضواء وناطحات السحاب، فأنت أيتها المرأة لك الدنيا والآخرة، فحلاوة الدنيا

هي بالإيمان وليس بالصخب والعنف و(الجاز)، دورك عظيم إذ لا يمكن إخفاؤه، لذا فإن لك أدواراً في ثنايا التاريخ فاقرأي دور أمهاتك في زمن الرسول ﷺ ، فالنساء في ذلك الزمان حاربن وسقين المرضى وداوينَ الجرحى. . . .

خروج امراة من بني غفار مع رسول الله ﷺ

أخرج ابن إسحاق عن امرأة من بني غفار قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غفار، فقلنا: يا رسول الله، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ـ وهو يسير إلى خيبر ـ فنداوي الجرحى، ونعين المسلمين ما استطعنا. فقال: «**على بركة الله**». قالت: فخرجنا معه. قالت: وكنت جارية حديثة السنّ، فأردفني رسول الله ﷺ على حقيبة رَحْله. قالت: فوالله لَنَزَلَ رسول الله ﷺ إلى الصبح وأناخ ونزلت عن حقيبة رَحْله. قالت: وإذا بها دم مني، وكانت أول حيضة حضتها. قالت: فتقبَّضْتُ إلى الناقة واستحييت، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بي ورأى الدم قال: «**ما لك لعلك نفست؟**»[1]، قالت: قلت: نعم. قال: «**فأصلحي من نفسك، ثم خذي إناء من ماء، فاطرحي فيه ملحاً، ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم، ثم عودي لمركبك**».

قالت: فلما فتح الله خيبر رضخ لنا[2] من الفيء، وأخذ

---

(1) نفست ـ بالفتح ـ: حاضت، «النهاية» (5/ 95).

(2) الرضخ: العطية القليلة، «النهاية» (2/ 228).

هذه القلادة التي ترين في عنقي ، فأعطانيها وعلّقها بيده في عنقي ، فوالله لا تفارقني أبداً، وكانت في عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها . قالت: وكانت لا تَطَّهَّر من حيضها إلّا جعلت في طهورها ملحاً، وأوصت به أن يجعل في غُسلها حين ماتت. وهكذا رواه الإمام أحمد[1]، وأبو داود[2] من حديث ابن إسحاق. ورواه الواقدي بإسناده عن أمية بنت أبي الصلت ﵂ . كذا في البداية (4/ 204) .

خروج امرأة وقصة عنزتها

وأخرج الإمام أحمد عن حميد بن هلال قال : كان رجل من الطُّفاوَة[3]، طريقه علينا يأتي على الحيّ فيحدثهم. قال: أتيت المدينة في عِير لنا، فبعنا بضاعتنا، ثم قلت: لأَنطَلَقَنَّ إلى هذا الرجل فلآتين من بعدي بخبره، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ فإذا هو يريني بيتاً. قال: «**إن امرأة كانت فيه، فخرجت في سرية من المسلمين وتركت اثنتي عشر عنزة، وصيصتَها**»[4]، التي تنسج بها. قال: «**ففقدت عنزاً من غنمها وصيصتها. قالت: يا رب، قد ضمنت لمن خرج في سبيلك أن تحفظ عليه، وإني قد فقدت عنزاً من غنمي وصيصتي، وإني أنشدك عنزي وصيصتي**». قال: فجعل رسول الله ﷺ يذكر له شدة

(1) في «مسنده» (الحديث: 6/ 65).

(2) في «سننه» (الحديث: 313).

(3) الطُّفاوَة: بالضم : حي من قيس عيلان (القاموس : طفا) .

(4) الصيصة : الصنارة التي يغزل بها وينسج ، «النهاية» (3/ 67) .

مناشدتها لربها تبارك وتعالى. قال رسول الله ﷺ: «**فأصبحت عنزها ومثلها وصيصتها ومثلها، وهاتيك فأتها، فاسألها إن شئت**». قال: قلت: بل أصدّقك. قال الهيثمي (5/ 277): رواه الإمام أحمد[1]، ورجاله رجال الصحيح. انتهى.

خروج أم حرام بنت ملحان خالة أنس

أخرج البخاري[2] عن أنس ﷺ قال: دخل رسول الله ﷺ على ابنة ملحان، فاتّكأ عندها ثم ضحك. فقالت: لمَ تضحك يا رسول الله ؟ فقال: «**ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر[3] في سبيل الله، مثلهم مثل الملوك على الأسرة**». فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «**اللّهم اجعلها منهم**»، ثم عاد فضحك. فقالت له مثل ذلك ـ أو ممَّ ذلك؟ ـ فقال لها مثل ذلك. فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم قال: «**أنت من الأوَّلين، ولست من الآخرين**». قال: قال أنس ﷺ: فتزوجت عبادة بن الصامت، فركبت البحر مع بنت قرظة[4]، فلما قفلت ركبت دابتها، فوقصت[5] بها فسقطت عنها فماتت[6].

---

(1) في «مسنده» (الحديث: 5/ 67).

(2) «صحيحه» (الحديث: 2877) و(الحديث: 2878).

(3) هو البحر الأبيض المتوسط (حاشية المطوعة).

(4) هي زوجة معاوية بن أبي سفيان.

(5) وقص: نزا ووثب وقارب الخطو. «النهاية» (5/ 214).

(6) دفنت في قبرص ويسمى قبرها هناك المرأة الصالحة.

خدمة النساء في الجهاد في سبيل الله

خروج النساء مع النبي ﷺ لسقي المرضى ومداواة الجرحى

أخرج الطبراني[1] عن أُمّ سُلَيم ﵂ قالت: كان النبي ﷺ يغزو معه نسوة من الأنصار، فتسقي المرضى وتداوي الجرحى. قال الهيثمي (5/ 324): رجاله رجال الصحيح.

وأخرجه مسلم[2]، والترمذي[3]: وصححه، عن أنس ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ يغزو بأُمّ سُلَيم ﵂ ونسوة معها من الأنصار، يسقين الماء، ويداوين الجرحى.

خدمة الرُّبَيِّع بنت معوذ وأم عطية وليلى الغفارية في الجهاد

وأخرج البخاري عن الربيع بنت معوذ ﵂ قالت: كنا مع النبي ﷺ فنسقي القوم، ونخدمهم، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة، وأخرجه أيضاً الإمام أحمد كما في المنتقى. وأخرج الإمام أحمد، ومسلم وابن ماجه عن أم عطية الأنصارية ﵂ قالت: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات[4]، أخلفهم في رحالهم، وأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على الزمنى[5]. كذا في المنتقى.

(1) «المعجم الكبير» (الحيدث: 740)، و«المعجم الصغير» (الحديث: 324).

(2) «صحيحه» (الحديث: 4659).

(3) «سننه» (الحديث: 1575).

(4) أخرجه مسلم في (الحديث: 5019)، وأخرجه أبو داود في (الحديث: 3812)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 1821).

(5) زمنى: جمع زمين، وهو ذو العاهة (القاموس: زمن).

وأخرج الطبراني[1] عن ليلى الغفارية ﵂ قالت: كنت أخرج مع رسول الله ﷺ أداوي الجرحى. قال الهيثمي (5/ 324): وفيه القاسم بن محمد بن أبي شيبة وهو ضعيف. انتهى.

خدمة عائشة وأم سُلَيم امُّ سَلِيط الأنصارية يوم أُحُد

أخرج البخاري[2] عن أنس ﵁ قال: لما كان يوم أُحُد انهزم الناس عن النبي ﷺ. قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأُمّ سُلَيم ﵄ وأنهما لمشمِّرتان، أرى خدم[3] سوقهما، تنقزان القرب[4]. وقال غيره: تنقلان القرب على متونهما[5] ثم تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانها[6] في أفواه القوم. وأخرجه أيضاً مسلم[7]، والبيهقي (9/ 30): عن أنس ﵁ بنحوه.

وأخرج البخاري[8] عن ثعلبة بن أبي مليك ﵁: أن عمر بن

(1) «المعجم الكبير» (الحديث: 25/ 28).

(2) «صحيحه» (الحديث: 2880)، و(الحديث: 3811)، و(الحديث: 4064).

(3) الخدم: جمع خدمة يعني الخلخال ويجمع أيضاً على خدام «النهاية» (2/ 15).

(4) تنقز: أي تقفز وتثب، «النهاية» (5/ 105) والقرب: جمع قربة: الوطب من اللبن وقد تكون للماء (القاموس: قرب).

(5) المتون: جمع المتن وهو الظهر (القاموس: متن).

(6) في الأصل: (فتفرغانه)، وما هنا عن صحيح البخاري.

(7) «صحيحه» (الحديث: 4660).

(8) «صحيحه» (الحديث: 2881)، و(الحديث: 4071).

الخطاب ﷺ قسم مروطاً[1] بين نساء من نساء المدينة، فبقي مرط جيد، فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين، أعط هذا ابنة رسول الله ﷺ التي عندك - يريدون أم كلثوم بنت علي ﷺ - فقال عمر ﷺ: أمُّ سَلِيط أحق - (أمُّ سَلِيط من نساء[2] الأنصار ممن بايع رسول الله ﷺ) - قال عمر ﷺ: فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أُحُدْ. قال أبو عبد الله - أي البخاري -: تزفر: تخيط، وأخرجه أيضاً أبو نعيم وأبو عبيد؛ كما في الكنز (7/ 97).

خروج النساء للخدمة يوم خيبر

وأخرج أبو داود[3] من طريق حشرج بن زياد عن جدته - أم أبيه - ﷺ: أنهن خرجن مع النبي ﷺ في خيبر[4]، وفيه: أن النبي ﷺ سألهن عن ذلك؛ فقلن: خرجنا نغزل الشعر، فنعين به[5] في سبيل الله، ونداوي الجرحى، ونناول السهام، ونسقي السويق.

وعن عبد الرزاق عن الزهري قال: كان النساء يشهدن مع النبي ﷺ المشاهد، ويسقين المقاتلة[6]، ويداوين الجرحى. كذا في فتح الباري (6/ 51).

---

(1) المروط: الأكسية الواحد مرط. «النهاية» (4/ 319).

(2) ما بين القوسين زيادة من (صحيح البخاري).

(3) «سننه» (الحديث: 253).

(4) في الأصل: (ونعين).

(5) في الأصل: (حنين) وما هنا للسياق.

(6) المقاتلة، بكسر التاء: جمع مقاتل.

وللخنساء صفحات في حرب القادسية يقصها علينا الدكتور أحمد الكبيسي، وهي فعلاً قصة لامرأة ذات إيمان قَلَّ بل ندر أمثالها وإلى يوم القيامة، الخنساء: (تماضر بنت عمرو بن الشريد)، الخنساء هذه نفسها يأتيها الإسلام فيعلمها المعنى الجديد للحياة[1] والصياغة الجديدة للمرأة، وتمضي الأيام سريعة حافلة، ويخرج المسلمون إلى حرب القادسية، وتخرج إليها مع أبنائها الأربعة، وفي ليلة المعركة تجمعهم وتوصيهم فتقول:

يا بني، إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين، ووالله الذي لا إله غيره، إنكم لبنو رجل واحد وامرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، وقد تعلمون ما أعد الله لعباده المجاهدين، امضوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين.

فيخرج الأبناء الأربعة إلى الحرب وتبقى الخنساء تقوم بدورها في مؤخرة الجيش، تواسي الجريح، وتسقي العطشان، وتحضر المؤن، ويستبسل الأبناء في القتال وينشدون الشعر بذكر العجوز الخنساء، ويقتلون واحداً تِلْو الآخر، ويبلغ الخنساء خبر مقتلهم جميعاً، فتقول:

الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر رحمته. ثم تمضي في سبيل ما هي فيه لم تتوقف، وكأن شيئاً مروعاً لم يقع، وكأن حدثاً جليلاً لم يحدث.

---

(1) مقالة للدكتور أحمد عيد الكبيسي - مجلة العربي - بتصرف.

ولست ثقيل الظل إلى الحد الذي جعلني أفسد على القارئ تأملاته بالتعليق، أو أقتحم عليه انبهاره بالكلام، أو أربك له خشوعه بالتوضيح. لأن أي كلام في مثل هذا المقام لا بد وأن يكون غثاً مهما أحكمته الفصاحة، ولأن أي تعليق على مثل هذه المواقف لا بد وأن يكون فجاً مهما زوقته البلاغة، ولأن أي توضيح لمثل هذه الملاحم لا بد وأن يكون فظاً مهما كانت الملاحظة دقيقة وعميقة وذكية.

ولقد صادف رسول الله ﷺ مثل هذه البطولات فاكتفى بالتثمين، ومرت أمامه مثل هذه التضحيات فقابلها بالإجلال، وامتحنت المرأة من حوله ففجرت على شفتيه ابتسامة إعجاب عريضة، هي أبلغ من أي حديث.

هكذا كانت المرأة في عهد رسول الله ﷺ، وكانت قلوبهم مملوءة بالإيمان والتوحيد، إنها فقدت أعز ما عند الإنسان في الحياة الدنيا ومع ذلك وهي تقول: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر رحمته... هل نجد في زماننا نساء مثلها؟ نعم لو كانت صحوة الإيمان تماثل صحوة إيمان الخنساء وقلوباً تحذو حذو قلبها المفعم بنور الهداية...

قتال النساء في الجهاد في سبيل الله:

قتال أم عمارة[1] يوم أُحُد

ذكر ابن هشام عن سعيد بن أبي زيد الأنصاري ﷺ: أن أُم

(1) أم عمارة نسيبة بنت كعب ترجمتها في الاستيعاب (الاستيعاب/ 1948) و (سير أعلام النبلاء) (2/ 278).

سعد بنت سعد بن الربيع ﵂ كانت تقول: دخلت على أُم عُمارة ﵂، فقلت لها: يا خالة أخبريني خبرك؟ فقالت: خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين[1]. فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ، فقمت أباشر القتال، وأذب عنه بالسيف، وأرمي عن القوس، حتى خلصت الجراح إليّ، قالت: فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور فقلت لها: من أصابك هذا؟ قالت: ابن قمئة، أقمأه الله[2]، لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دلّوني على محمد، لا نجوت إن نجا، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير، وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان. كذا في البداية (4/ 34). وأخرجه أيضاً الواقدي من طريق ابن أبي صعصعة عن أم سعد بنت سعد بن الربيع ﵂، كما في الإصابة (4/ 479).

وأخرج الواقدي بسند آخر إلى عمارة بن عربة[3] ﵂ إنها قتلت يومئذ فارساً من المشركين. ومن وجه آخر عن عمر ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما التفت يوم أُحُدْ يميناً ولا شمالاً إلّا وأراها تقاتل دوني**». كذا في الإصابة (4/ 479).

---

(1) الريح: النصرة والدولة (القاموس: روح).

(2) أقمأه الله: أذله الله.

(3) لعل عمارة هو ابن نسيبة من زوجها عربة بن عمرو، وكانت تكنى به.

فأم عمارة: نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف الأنصارية، من أوائل المسلمات، وحضرت ليلة العقبة وبايعت النبي ﷺ وشهدت أُحُدْ مع زوجها يزيد بن عاصم وابنيها: حبيب وعبد الله، ولما انهزم المسلمون انحازت إلى رسول الله ﷺ بالسيف، وأخذت ترمي بالقوس حتى أقبل ابن قمئة وهو يصيح:

دلوني على محمد ـ فلا نجوت إن نجا ـ فاعترض له مصعب بن عمير وأُم عمارة فضربها ضربة وضربته على ذلك ضربات، لكن كان عليه درعان فاتقى بهما ضرباتها.

وحدثت أم عمارة عن أُحُدْ فقالت: انكشف الناس عن رسول الله ﷺ فما بقي معه إلّا نفر ما يتممون عشرة، وأنا وابناي وزوجي بين يديه، نذب عن رسول الله والناس يمرون منهزمين.

ورآني رسول الله ﷺ لا ترس معي، فرأى رجلاً منهزماً معه ترس فقال لصاحب الترس: «**ألق ترسك إلى من يقاتل**»[1] فألقى ترسه وأخذته، فجعلت أتترس عن رسول الله ﷺ، وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل، فيقبل رجل عليَّ على فرس، فضربني فتترست له، فلم يصنع سيفه شيئاً وولى، فضربت عرقوب فرسه، فوقع على ظهره، فجعل النبي ﷺ يصيح على ولدي قائلاً: «**يا ابن أم عمارة، أمك أمك**» فعاونني عليه حتى أوردته الهلاك.

(1) ذكره ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (8/ 302، 303).

وجرح ابنها عبيد بن زيد، وجعل دمه يسيل، وهي لاهية عنه بقتال الأعداء حتى نادى رسول الله ﷺ ابنها فقال: «**اعصب جرحك**» فتنبهت إليه، وأقبلت عليه معها عصائب قد أعدتها للجراح ، فربطت جرحه، والنبي واقف ينظر إليها بإعجاب وإكبار، ثم قالت لابنها: بني انهض فضارب القوم، فنهض ونهضت معه . فلم يزد رسول الله على أن قال وكأنه يحدث نفسه: «**ومن يطيق ما تطيق أم عمارة**».

ثم أقبل الرجل الذي ضرب ابنها، فقال رسول الله ﷺ لها: هذا ضارب ابنك.

قالت: فاعترضت له، فضربت ساقه فبرك. قالت: فرأيت رسول الله ﷺ يبتسم حتى رأيت نواجذه.

وحدث رسول الله ﷺ عنها بعد ذلك فقال: «**لمقام نسيبة خير من مقام فلان، وفلان، ما التفت يميناً وشمالاً إلّا وأنا أراها تقاتل دوني**». وكان يراها تقاتل يوم أُحُد أشد القتال، وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها حتى جرحت ثلاثة عشر رجلاً.

قتال صفية يوم أُحُد ويوم الخندق

وأخرج ابن سعد عن هشام عن أبيه أن صفية ﵂ جاءت يوم أُحُد وقد انهزم الناس وبيدها رمح تضرب في وجههم فقال النبي ﷺ: «**يا زبير المرأة**». كذا في الإصابة (4/ 439).

وأخرج ابن إسحاق عن عبّاد قال: كانت صفية بنت عبد المطلب ﵂ في فارع ـ حصن حسان بن ثابت ﵁ ـ قالت:

وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان؛ فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ ، وليس بيننا وبينهم من يدفع عنا، ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا، إذ أتانا آتٍ، فقلت: يا حسان إن هذا اليهودي - كما ترى - يُطِيف بالحصن، وإني والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود؛ وقد شغل رسول الله ﷺ وأصحابه، فانزل إليه فاقتله. قال: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب! والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا. قالت: فلما قال لي ذلك ولم أرَ عنده شيئاً احتجزت[1]، ثم أخذت عموداً، ثم نزلت من الحصن إليه، فضربته بالعمود حتى قتلته. فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن، فقلت: يا حسان، انزل فاستلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلّا أنه رجل. قال: ما لي بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب . كذا في البداية (4/ 108).

وأخرجه البيهقي (6/ 308) من طريق ابن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه ﷺ بنحوه؛ ثم أخرج من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن صفية ﷺ مثله، وزاد فيه: قال: هي أول امرأة قتلت رجلاً من المشركين. وأخرجه أيضاً ابن أبي خيثمة، وابن منده من رواية أم عروة بنت جعفر بن الزبير عن أبيها عن جدتها صفية ﷺ ، وابن سعد من طريق هشام عن أبيه، كما في الإصابة (4/ 349). وأخرجه ابن عساكر من

(1) احتجز الرجل الإزار إذا شده على وسطه . (النهاية) (1/ 344) .

حديث صفية والزبير ﷺ معناه، كما في الكنز (7/ 99). وأخرجه أيضاً الطبراني (عن عروة) وأبو يعلى، والبزار عن الزبير (وإسنادهما ضعيف)[1]؛ كما في مجمع الزوائد (6/ 133).

اتخاذ أُمّ سُلَيم[2] خنجراً للقتال يوم حنين

وأخرج ابن أبي شيبة عن أنس قال: جاء أبو طلحة يوم حنين يضحك إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله: ألم تر إلى أُمّ سُلَيم معها خنجر؟! فقال لها رسول الله ﷺ: «**يا أُمّ سُلَيم ما أردت إليه؟**» قالت: أردت إن دنا لي أَحَدٌ منهم طعنته به. كذا في كنز العمال (5/ 307). وأخرجه أيضاً ابن سعد بسند صحيح، كما في الإصابة (4/ 461). وعند مسلم عن أنس ﷺ أن أُمّ سُلَيم ﷺ اتخذت يوم حنين خنجراً، فكان معها فرآها أبو طلحة، فقال: يا رسول الله، هذه أُمّ سُلَيم معها خنجر، فقال لها رسول الله ﷺ: «**ما هذا الخنجر؟**» فقالت: اتخذته إن دنا مني أَحَدُ المشركين بقرت به بطنه، فجعل رسول الله ﷺ يضحك.

قَتْلُ أَسماء بنت يزيد[3] تسعةً يوم اليرموك

وأخرج الطبراني عن مهاجر: أن أسماء بنت يزيد بن السّكن

---

(1) انظر (مجمع الزوائد) (6/ 133 ـ 134).

(2) أم سليم بنت ملحان لها ترجمة في (الاستيعاب) (1847) و (سير أعلام النبلاء) (2/ 304).

(3) أسماء بنت يزيد بن السكن لها ترجمة في (الاستيعاب) (1787) و (أسد الغابة) (7/ 18) و (سير أعلام النبلاء) (2/ 296).

بنت عم معاذ بن جبل ﷺ قتلت يوم اليرموك تسعة من الروم بعمود فسطاط. قال الهيثمي (9/ 260): ورجاله ثقات، انتهى.

فيا عزيزي القارئ: هل اطّلعت على القصص الآنفة الذكر؟ إنها بحق قصص مثيرة عن النساء، إنهن دخلن وجاهدن في سبيل الله بشتى الوسائل، إنها حدثت قبل أكثر من (1400) عام، وحينذاك كان للمرأة دور في مختلف مجالات الحياة فلو كانت في ذلك الزمان طائرة من كان يمنع المرأة من أن تكون قائدة لها، وتنقل بها المؤن والأغذية لجيش المسلمين، وبالأحرى لو كنّا بحاجةٍ ملحة إليهن - مثلاً في حالة النفير العام - ولو كانت في صدر الإسلام بنادق أو رشاشات فمن كان يمنع المرأة أن تتعلم استخدامها وهي في عقر دارها تدافع بها عن نفسها إذا ما هوجمت من قِبل الأعداء.

والفرق بيننا وبين الغرب في معارك القتال هو أننا نلتزم بالأمور الشرعية التي أمرنا بها الباري ﷻ.

إذن هل فَرَّق الإسلام بين الجنسين في هذه الأمور؟ ولكن لكل منهما وظيفته الخاصة... وعلينا أن لا ننسى أن هناك جهاد بشكل آخر لو تم الالتزام به لكان أجر المرأة كأجر الرجل دون أن يكون لها نصيب في ساحات الوغى. أتدرين ما هو ذلك أيتها المرأة؟ إنه طاعة الزوج والاعتراف بحقه وهذا يعدل الجهاد في سبيل الله، وسأروي لك قصة في الموضوع التالي لأثبت ذلك... وهل بعد كل هذا يتباهى الغرب في أن نسائهم يشتركن في الوغى مع الرجال؟ فالفرق بين صدر الإسلام وزماننا هو

أدوات الحرب فالرمح والسيف والمنجنيق والطائرات والدبابات والمدرعات كلها أدوات حرب، ولكن الفرق الأهم بيننا وبين الغرب هو الأخلاق والإيمان، فالجندي الأمريكي لا يقاتل لأنه مؤمن بالحرب (في كثير من حروب أمريكا) بل من خوفه من السجن إذا عصى الدخول في الحرب، أو ربما يخشى من ملاحقته قضائياً إذا امتنع عنها، ثم إن المردود المالي المغري للجندي الأمريكي، هو الذي يُحَفِّزه للدخول في الحروب، أما المسلم فلا غاية له إلّا رضى الله ورسوله بإيمانه الذي يملكه، ولا يهاب من الموت.

ولا فرق هنا بين المرأة والرجل من حيث غايتهما في القتال وهو رضى الله تعالى، وذكرنا فيما سبق أمثلة مثيرة عن تلك النساء البطلات.

هناك سؤال وهو: متى تمارس المرأة القتال في شرع الإسلام؟ أو بعبارة أخرى: متى يجب أن تقاتل المرأة؟ لا شك أن ممارسة القتال حين تدعو الضرورة إليه هي أصلاً تقع على الرجل، ولكن في حالة النفير العام أي عندما يجتاح العدو بلاد المسلمين فقد وجب حينئذٍ على الجميع ممارسة القتال (بكل ما لديهم من وسائل الدفاع) رجالاً ونساءً، فالحكم يشمل كل قادر عليه من المسلمين والمسلمات. وهناك نقطة مهمة هنا أود الإشارة إليها: أن المرأة تدخل المعركة في إطار القيم والضوابط الإسلامية الصحيحة حيث لا خلاعة، ولا تبرج، ولا انفلات في

القول أو الفعل، ويكون القتال هنا لكل منهما خالصة مخلصة لوجه الله تعالى ونصرة دينه.. هذا ودخول المرأة في المعارك في الإسلام إنما جاء دفاعاً عن النفس وإعلاء كلمة الدين، وليست تلك الحروب لإرهاب الناس ولا لإرهاب الأبرياء.

مع كل ذلك أعفيت المرأة في معظم الأحوال من الخروج إلى قتال الأعداء، رعاية لحالتها الجسدية، وحيث أن التكوين النفسي والعاطفي للمرأة لا يتناسب بالأحرى فيما يتعلق بالحروب وقيادات الجيوش، وليس بخافٍ أن الدخول في الحروب يقتضي من قوة الأعصاب وتغليب العقل على العاطفة والشجاعة في خوض المعارك، لذا فالإسلام لا يدعو المرأة للدخول إلى القتال في معظم الأحيان، وإلّا لكانت الحياة فقدت أجمل ما فيها من حنان ورحمة ورأفة ووداعة، هذا ولا تكلف المرأة بالقتال إلّا في حالة النفير العام وتؤدي بذلك من الأعمال على قدر استطاعتها، وليس معنى إعفائها في الأحوال العادية عدم ترغيب الإسلام بأن تشارك المرأة في مساعدة المقاتلين، وتضميد جرحاهم، وجلب الماء وإعداد الطعام لهم، ونحو ذلك ممَّا تحسنه وتجيده من الأعمال.

وإذا كانت الدول الغربية تفتخر بمشاركة المرأة في حروبها مع أعدائها. نعم هذا صحيح، إلّا أن تلك المشاركة شكلية، ونحن حتى الآن لم نر في أكثر الدول تطرفاً في دفع المرأة إلى ميادين الحياة مَنْ رضيت أن تتولى امرأة من نسائها وزارة الدفاع،

أو رئاسة الأركان العامة لجيوشها، أو قيادة فيلق من فيالقها، أو قطع حربية من قطاعاتها[1].

صحيح أننا نرى النساء في عصرنا هذا في الجيوش الغربية وعلى رأسها أمريكا، إلّا أنهن لا يدخلن في المعارك الحقيقية (وجهاً لوجه مع العدو) ـ كحرب العصابات التي نراها في أماكن شتّى، فالمجندة لا تدخل في هذا النوع من الحروب ـ وإن كان هنا وهناك مجندات يقدن طائرات هيليكوبتر وغيرها، ولكن تعد تلك المشاركة ضئيلة فيما لو قورنت بدور الرجل، أنا شخصياً أرى اشتراك المرأة في الجيش في الغرب خدعة دعائية يريد الغرب من ورائها أن يظهر أنهم حريصون على سعادة المرأة وهنائها ويشركونها في كل المجالات، ولم أسمع في حياتي مثالاً حيًا في الغرب، من أن مجندة غربية قاتلت كما قاتلت أم عمارة رضي الله عنها، حيث قال الرسول ﷺ في حقها في معركة أُحُد: **«ما التفت يميناً ولا شمالاً إلّا وأنا أراها تقاتل دوني»**.

أجر النساء أعظم .... يعدل ذلك كله .....

روي أن أسماء بنت يزيد بن السكن ـ خطيبة النساء ـ أتت النبي ﷺ وهو بين أصحابه فقالت: بأبي أنت يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، إن الله ﷻ بعثك إلى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبإلٰهك، إنا معشر النساء مقصورات قواعد بيوتكم،

---

(1) المرأة بين الفقه والقانون، د. مصطفى السباعي، بتصرف.

وحاملات أولادكم، وإنكم معاشر الرجال فُضِّلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله ﷻ وإن أَحَدَكُمْ إذا خرج حاجاً، أو معتمراً، أو مجاهداً حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا أثوابكم، وربينا أولادكم أفنشارككم في هذا الأجر والخير؟

أيها القارئ الكريم: إن النساء في زمن الرسول ﷺ، أردْن أن يتقربن إلى الله ﷻ وينافسن الرجال في كسب رضى الله ورسوله ﷺ. هل استجاب ﷺ لطلب هذه المرأة العظيمة؟ نعم... التفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كلّه ثم قال: «**أسمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه؟**» فقالوا: يا رسول الله، ما ظننا أن امراة تهتدي إلى مثل هذا القول! فالتفت ﷺ فقال: «**افهمي أيتها المرأة واعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله**».

إن هذه المرأة العظيمة إذ طلبت من سيدنا محمد ﷺ حقاً من حقوق المرأة ودافعت عن المرأة، وإنها قد دافعت عن تلك الحقوق ونالتها بالفعل، ويظهر من هذا الحديث أن للمرأة حقين، حق يؤجر عليها، وهي قائمة به فعلاً: كتربية الأولاد وتدبير أمور الدار وغيرها.. والحق الآخر هو مشاركة في الأجر - وإن لم تفعلها - فالزوج يذهب للجهاد، وفي الوقت نفسه، فالمرأة تحفظ له أمواله وتغزل أثوابه وتربي أولاده، فإنها تشاركه في ذلك الأجر وإن لم تدخل في ساحات الوغى في الجهاد

فعلاً، هكذا كانت المرأة في عهد سيدنا محمد ﷺ. وهذا الحديث إنما هو ذكرى للمرأة الذكية التي تأخذ عبرة منه وتعرف أن الدين الحنيف يصون حقوقها ويعطيها المزيد ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩﴾ [الأعلى: 9]... والتاريخ أصدق دليل لمن أراد أن يستقي منه الدروس والعبر...

obeikandl.com